التطرف الديني
عند الخوارج

د. عبير قيس محمد نايف القيسي
كلية الإمام الأعظم رحمه الله الجامعة

ملخص

ركز البحث على فكر التطرف الديني عند الخوارج، وبواعث امتداده في الماضي والحاضر، وبين البحث أن التطرف فكر ديني وسياسي له أصول قديمة، وله أسباب أدت إلى ظهوره، هي: أسباب اجتماعية، وعلمية، ودينية، وبيئية، فالتطرف: فكر تجاوز الوسطية في الاعتقاد الديني، وتأسست على أثره حركات وفرق متشددة، وضالة عن الطريق الصحيح الذي أمرتْ به الشريعة الإسلامية؛ بمجانبتها تحقيق التوازن الفكري والعقائدي، لكن البحث أشار إلى أنَّه يُمكن معالجته عبر تصحيح المفاهيم، وتوجيهها نحو الفهم الصحيح المنبثق عن الشريعة الإسلامية، كما أوضح البحث الآثار الجانبية والفكرية للخوارج، والدروس، والعبر المستفادة من فكرهم.

Abstract

The research focused on the thought of religious extremism in the Khwarij, and the motives of its extension in the past and present, and the research that extremism is a religious and political thought of old origins, and has reasons that led to its emergence: social, scientific, religious and environmental reasons.

The research pointed out that it can be addressed by correcting the concepts and directing them towards the correct understanding that emanates from Islamic law. The research also explained the side effects of the Islamic law. And intellectual of the Khwarij, Lessons, and lessons learned from their thinking.

المقدمة

الحمد لله، القائل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وخاتم النبين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ مما لا شك فيه، أن التطرف في الدين يعد من المواضيع البارزة والمهمة منذ القدم، وحتى عصرنا الحاضر وخاصة نحن نعيش في عصر العولمة والتجديد والتطور والتغيير، عصر تمثل باستحداث كثير من المستجدات التي لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ نتيجة لاختلاط المسلمين العرب خاصة والمسلمين عامة بغيرهم من الأجانب من أصحاب الحضارات الأخرى تمثلت بالحضارات اليونانية والفارسية، فنجم عن ذلك ظهور أفكار ومعتقدات اختلطت بالأفكار الإسلامية الأصلية أدت إلى ظهور فرق وحركات كل منها حمل فكراً هجيناً مستمداً من أفكار ومعتقدات بعضها البعض ومن الحضارات الغربية، وكان لهذه الفرق آثار جانبية فكرية على المجتمع.

لذا أحببت أن أسلط الضوء في بحثي هذا على التعريف بالتطرف الديني للخوارج وعدّه البذرة الأولى لنمو حركات وفرق معاصرة تأثرت بهم، فانتهجت منهجهم في التفكير، وهدفي في هذا البحث هو التحذير من هذا الفكر المتطرف، لما له من أثر كبير في تدمير المجتمع الإسلامي وشق وحدة المسلمين.

ومنهجي في البحث كالآتي:

قسمت البحث على ثلاثة مباحث، فأما المبحث الأول فقد تضمن: التعريف

(١) سورة الانبياء، الآية (١٠٧).

بالتطرف، وذم الشريعة الاسلامية، وأسبابه، وقد قسمته على ثلاثة مطالب وهي:

المطلب الأول: تعريف التطرف لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: ذم الشريعة الإسلامية للتطرف.

المطلب الثالث: أسباب التطرف.

وأما المبحث الثاني: فقد تضمن التعريف بالخوارج ونشأتهم، وآرائهم الكلامية، وأهم فرقها الغالية، وقد قسمته على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: التعريف بالخوارج ونشأتهم.

المطلب الثاني: آرائهم الكلامية.

المطلب الثالث: فرقها الغالية.

والمبحث الثالث: فقد تضمن: الآثار الجانبية الفكرية للخوارج، والدروس والعبر المستفادة من فكرهم، وقد قسمته على مطلبين:

المطلب الأول: الآثار الجانبية الفكرية للخوارج.

المطلب الثاني: الدروس والعبر المستفادة من فكر الخوارج.

ثم اختتمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

المبحث الأول
تعريف التطرف
وذم الشريعة الإسلامية له وأسبابه

المطلب الأول: تعريفه لغةً واصطلاحاً .

أولاً: لغة.

التطرف: هو مصدر من الفعل (تطرّف)، وتطرف الشيء صارَ طرفاً، وطرْفُ الشيء ما يقرب من نهايته[1].

ثانياً: اصطلاحاً.

تعددت عبارات العلماء في تعريف التطرف، وكلها تؤدي معنى التطرف، وأبرز تلك العبارات: هو التنطع: وهو التكلف المؤدي إلى الخروج عن السنة[2].

وقيل هو الغلو: ومعناه الزيادة على ما يطلب شرعاً، أو تجاوز الحد[3].

وقال الامام الحافظ ابن حجر (رحمه الله): هو التحمس، وهو التشدد[4]

والتطرف، والتنطع، والغلو، والتشدد هي كلمات ذات مدلول واحد وردت في نصوص القرآن والسنة والآثار، وسيأتي ذكرها.

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين الزبيدي، دار الفكر، ١/ ٥٩٩.

(٢) ينظر: الارهاب في ميزات الشريعة الاسلامية، د. عادل عبد الجبار، موقع مكتبة صيد الفوائد، الانترنت، ص٤٠.

(٣) ينظر: التعاريف، للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، (ت: ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ، ١٤١٠هـ، ١/ ٥٤٠.

(٤) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام احمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز ، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، ٣/ ٥١٦.

المطلب الثاني: ذم الشريعة الإسلامية للتطرف:

لقد ذمت الشريعة الإسلامية التطرف في الدين، فقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحذر منه، ووردت أحاديث نبوية تنهى عنه، وآثار للسلف كلها مجمعة على نبذ العنف والتشدد في الدين، وفيما يأتي بعض منها:

فدليل النهي عنه في القرآن، قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾[1].

حيث إن الآية الكريمة صريحة الدلالة عن النهي عن المغالاة في الدين.

وقوله عز وجل: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2].

فدلت الآية الكريمة أن الله تعالى منَّ على النبي ﷺ بالرحمة فجعل قلبه رؤوفاً عطوفاً لكي يتحمل عبء الرسالة، والدعوة الى دين الله تعالى لو كان ﷺ عكس ذلك لفشلت دعوته، وكان سبب فشلها نفور الناس منه لقسوة قلبه، وتشدده في الدعوة.

قوله تعالى : ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[3].

قال الإمام الرازي (رحمه الله): (متوسطون في الدين بين المفرط والمفرّط والغالي والمقصر في الأشياء؛ لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا ابناً وإلهاً، ولا قصروا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصروا فيه)[4].

---

(١) سورة المائدة: الآية (٧٧).

(٢) سورة آل عمرا، الآية (١٥٩).

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

(٤) ينظر: التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر- بيروت، ٤/ ٩٨.

أما في السنة فقد وردت أحاديث كثيرة نهى فيها النبي ﷺ عن التطرف والغلو في الدين، منها:

قوله ﷺ: ((إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين))[1].

فقد دلَّ الحديث الشريف على أن سبب هلاك الأمم السابقة إنما كان بتطرفهم ومغالاتهم في الدين كما فعل اليهود والنصارى بمغالاتهم التي دفعتهم إلى تحريف الدين، ففيه تحذير شديد من المغالاة بالدين، لأنها تؤدي بأصحابها إلى الهلاك والضياع.

وقال المناوي رحمه الله : (الغلو في الدين هو التشديد فيه، ومجاوزة الحد، والبحث عن غوامض الأشياء ، والكشف عن عللها، وغوامض متعبداتها)[2].

وقوله ﷺ : ((هلك المتنطعون قالها ثلاثاً))[3].

والمتنطعون: هم المتعمقون، المتقعرون في الكلام الذين يرومون بجودة سبكه سبي قلوب الناس، وقيل: هم الغالون في خوضهم فيما لا يعنيهم، وقيل هم الغالون في عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة، ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة[4].

وقال النووي (رحمه الله): (هم المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[5].

وقد ورد أيضاً حديث نبوي دل على إنكار الرسول ﷺ على من أراد من أصحابه رضي الله عنهم أن ينقطع عن الحياة للمبالغة في التقشف؛ لأن العمل عبادة، والإسلام

(١) مسند، الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، مسند عبد الله بن عباسرضي الله عنه ، (١٧٥٤) ، ٤/ ٢٨٦.

(٢) ينظر: فيض القدير، ٣/ ١٢٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب العلم ، باب هلك المتنطعون، ٤٨٣٢، ١٣/ ١٥٤.

(٤) ينظر: فيض القدير، للمناوي، ٦/ ٢٥٥.

(٥) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ١٦/ ٢٢٠.

وَفَّق بين الأعمال الدنيوية والأخروية، حيث روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي بالليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم الله وأتقاكم له ولكني أنا أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))[1].

وقال الصنعاني (رحمه الله): (في الحديث دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والاضرار، وهجر المألوفات كلها، وإن هذه الملة المحمدية مبنية شريعتها على الاقتصاد والتسهيل، والتيسير وعدم التعسير)[2].

وأُثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إياكم والتبدع، واياكم والتنضع، واياكم والتعمق، وعليكم بالدين العتيق"[3].

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، ٤٦٧٥ ، ١٥/ ٤٩٣.
(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٣/ ١١.
(٣) اعلام الموقعين، ٤/ ١٥٠.

المطلب الثالث: أسباب التطرف:

للتطرف أسبابه التي دعت الى نشوء الفكر الديني المتشدد والذي أدى بدوره الى تفرق المسلمين الى فرق كان لها أثر كبير في المجتمع الاسلامي، وسأبين هذه الآثار في المبحث الثالث إن شاء الله، ومن أهم أسباب التطرف ما يأتي:

أولاً: الجهل بالعلم الشرعي، وانعدام المعرفة الشاملة للأحكام الشرعية ومقاصدها والتاريخ والسيرة النبوية، وعدم إدراك مفهوم بعض المصطلحات كالتكفير والابتداع، لأن المعرفة الجزئية بذلك تؤدي إلى أن يعتقد الداعي أنه العالم الذي لا يشق غبارُه، ويعتقد الآخرون المماثلون له في العلم أنه كذلك فيكون سبب البدعة ومثل هؤلاء يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية فينتج عن ذلك التخبط منهم والخلط بين الأحكام ووضع الأدلة في غير مواضعها.

ثانياً: التعالم والغرور، والاعتداد بالنفس، وعدم الاستماع إلى رأي الآخرين، ويعني ذلك أن من أسباب ظهور الغلو والعنف في بعض فئات الأمة اليوم ادعاء العلم، إذ إننا نجد أن أحدهم لا يعرف بديهيات العلم الشرعي والأحكام، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا رأي سديد، ويظن أن بعلمه القليل قد حاز علم الأولين والآخرين فيستقل بغروره عن العلماء، ويتوقف عن مواصلة طلب العلم فيهلك بغروره.

ثالثا: إعراض أكثر المسلمين عن دينهم عقيدة وشريعة وأخلاقاً مما أوقعهم في ضنك العيش وفي حياة الشقاء، يتجلى هذا الإعراض بأمور كثيرة في حياة المسلمين اليوم أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً وهيئات، ومن مظاهر هذا الإعراض كثرة البدع والعقائد الفاسدة وما نتج عن ذلك من افتراق وفرق وأهواء وتنازع وخصومات في الدين.

رابعاً: الفجوة بين العلماء والشبان، فنجد أن من العلماء في بعض بلاد المسلمين -مع فقههم وعلمهم وحكمتهم- في معزل عن الشباب، وكذلك نجد الشباب -بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم- بمعزل عن العلماء وربما تكون سمعتهم في أذهان الكثيرين على غير الحقيقة، ويعود ذلك بسبب انحراف مناهج التربية لدى بعض الجماعات، وبسبب وسائل الإعلام المغرضة التي تجعل من عالم الدين رجلاً رجعياً ومتخلفاً وعلى العكس ادعاء بعض الجهلة الدين والعلم فيتقنعون بقناع الشريعة والدين، فيدعون الناس بالغلظة والتشدد مما يسبب ظهور الفجوة بينهم وبين الناس عامة، والشباب خاصة، ونفورهم منهم فلكل فعل رد فعل.

خامسا: الجدال بالأمور الجانبية والفرعية كإطلاق اللحية وتقصير الثوب بالنسبة للرجال، وحركة الأصبع في التشهد في الصلاة، وقضية الإسبال فيها، وغيرها من الأمور التي تؤدي إلى حدوث الفرقة بين المسلمين مهملين الأمور الأساسية والقضايا والجوانب الفكرية المهمة في العالم، من مواجهة الغزو الفكري والاستعماري، ونحوها من هذا الجدل هو المشار إليه بقوله ﷺ: ((ما ضَلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل))[1].

سادسا: الخلل في مناهج بعض الدعوات المعاصرة وذلك عبر نشر الكتب أو الكتيبات المسمومة التي تحتوي على أفكار دخيلة على الدين، فمنها ما هو يدعو الى التطرف من ناحية تشويه الدين، والدعوة الى التحرر من قيوده كدعاة الماركسية والشيوعية وغيرهم، ومنها ما يدعو على العكس إلى التشدد بالدين إلى درجة تضخيم العقوبة على ترك بعض الأمور المندوبة في الدين أو تكفير كل من لا يقلد ما يقروه من تطرف من غير علم، ومنه اتخاذ رؤساء الجهل قادة لطريق العلم، والهداية بظنهم[2].

(١) سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الزخرف، ٣١٧٩، ١١/ ٥١.

(٢) ينظر: التطرف الديني، ٤٦-٤٨؛ ينظر: الارهاب في ميزان الشريعة، د. عادل عبد الجبار: ٤٦-٤٨.

المبحث الثاني
الخوارج ونشأتهم، وأرائهم الكلامية وفرقهم الغالية

المطلب الأول: الخوارج ونشأتهم.

الخوارج:

جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق، وأعلن عصيانه، وانقلب عليه، وقيل: هم قوم من أهل الأهواء، سموا بهذا الاسم لخروجهم عن الدين أو عن الحق أو عن علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) [1]بعد صفين[2].وكان سبب خروجهم عليه هو قبول الإمام علي رضي الله عنه التحكيم، وأعدوا قبول هذا كفراً يجب أن يتوب عنه، كما ذهبوا الى تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ولم يرضوا بالتحكيم[3].

ويرى الشهرستاني ان اسم (خارجي) يطلق على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء أكان الخروج من أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان

(١) ينظر: مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، ص: ٦٦، وتاج العروس من جواهر القاموس، ١/ ١٣٧٩؛ لسان العرب، ٢/ ٢٤٩.

(٢) حرب صفين: وهي المعركة التي دارت بين علي رضي الله عنه وجيشه من أهل العراق، وبين معاوية رضي الله عنه وجيشه من أهل الشام حول الخلافة وذلك في سنة سبع وثلاثين للهجرة، ينظر: تاريخ الأمم الإسلامية، للخضري- بك، ٢/ ٦٠.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين، للأشعري، ١/ ٨٦؛ والفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، ١/ ٥٥-٥٦؛ والملل والنحل، ١/ ١١٥-١١٦.

بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان[1].

أما الخوارج فيرون أن لفظ الخوارج من الخروج في سبيل الله مستشهدين بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2]، وللخوارج أسماء وألقاب أخرى، فيسمون (الحرورية) نسبة الى حروراء[3][4].

أما نشأتهم فالظاهر من تعريف الخوارج أن نشوء هذه الفرقة كان عندما خرجوا من جند الإمام علي رضي الله عنه قبل صدور نتائج التحكيم وذلك في وقعة صفين، وذهب بعض المؤرخين إلى أن بداية الخوارج ظهرت منذ أيام الرسول الأعظم محمدﷺ، فقد كان مرسل على النبي ﷺ ذو الثدية وهو يقسم غنائم بدر، فقال له: إعدل يا محمد، فقال ﷺ: خبت وخسرت، من يعدل؟ ثم قال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية[5].

إلا أن الراجح أن حركة الخوارج برزت كظاهرة سياسية ودينية متميزة قامت على إثر موقعة صفين، وما أسفر عنها من قيام التحكيم ونتائجه بين الطرفين[6].

---

(١) الملل والنحل، ١/ ١١٤.

(٢) سورة النساء، الآية (١٠١).

(٣) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص: ٦٦.

(٤) حروراء: وهي قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبهم إليها، ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر- بيروت، ٢/ ٧٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (١٧٦٢)، ٥/ ٢٩٦،.

(٦) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص: ٦٧.

المطلب الثاني آرائهم الكلامية.

للخوارج آراء ومعتقدات دينية، وأشهر الآراء التي اجمع عليها الخوارج عند سائر فرقهم أو كلها هي كما يأتي:

أولا: ذهبوا إلى تكفير علي وعثمان والحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعري وأصحاب الجمل وعائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير رضي الله عنهم وكل من رضي بتحكيم الحكمين[1].

ثانياً: ذهبوا إلى وجوب الخروج على الإمام الجائر[2]، إذ جّوزوا أن تكون الإمامة خلافا لأهل السنة في غير قريش، وبالانتخاب، خلافاً للشيعة، الذين قالوا: إن الإمامة تكون بالنصّ والتعيين، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غيَّر السيرة وعدل عن الحق وجب عزله وقتله[3].

ثالثاً: ذهبوا إلى تكفير مرتكب الكبيرة، فهو كافر عندهم يخرج بها عن ملة الإسلام، ويخلد في النار مع سائر الكفار[4].

رابعاً: ذكر الشهرستاني : أنهم أنكروا سورة يوسف من القرآن[5]، وفي هذا تعدي على كتاب الله؛ لأنه من أنكر سورة من القرآن فكأنما أنكر القرآن كله أي أنهم لا يؤمنون بأن الله تعالى أنزل سورة يوسف فهي عندهم ليس من وحي الله تعالى.

---

(١) ينظر: مقالات الإسلامية للأشعري، ١/ ٨٦، الفرق بين الفرق، للبغدادي، ١/ ٥٥-٥٦.

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق، للبغدادي، ١/ ٥١-٥٥.

(٣) ينظر: دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، ص: ٧٨.

(٤) ينظر: قصيدة ابن أبي داود، ١/ ٣٨؛ والفصل في الملل والنحل، ٢/ ٨٩؛ وشرح العقيدة الأصفهانية، ١/ ٣١؛ وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ١/ ٧٦.

(٥) ينظر: الملل والنحل، ١/ ١٢٩.

خامساً: وهناك آراء أخرى ومعتقدات للخوارج ذهبوا إليها، وسأذكرها عند الحديث عن أهم فرقها الغالية في الدين؛ لأن لكل فرقة معتقدها وإن كانوا متفقين جميعاً على تكفير كل من شارك ووافق على التحكيم في معركة صفين.

المطلب الثالث: أهم فرقها الغالية:

أولاً: الأزارقة:

وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي، ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة، وآرائهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، ومنهم من قال أنهم كفرة لا مشركون، واستباحوا قتلهم وقتل نسائهم وقتل أطفالهم، ومن آرائهم أيضا قطع يد السارق على الشيء الكبير والصغير من المنكب، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، ويحرمون من انتمى الى اليهود والنصارى أو إلى المجوس، وبهذا شهد رسول اللهﷺ بالمروق من الدين كما يمرق السهم عن الرمية لأنهم يقتلون أهل الاسلام، ويتركون أهل الأوثان[1].

ثانياً: النجدات:

وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي، وذهبوا الى تكفير من خالفهم، كما أسقطوا حد الخمر، وقالوا: من نظر نظرة صغيرة أو كذبة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصرٍ عليه فهو مسلم إذا كان من موافقيه على دينه[2].

ثالثاً: الميمونية:

نسبة إلى إمامهم ميمون بن عمران، ومن آرائهم أنهم يجيزون نكاح بنات البنين، وبنات بنات البنات، وبنات بنات الاخوات، وبنات بنات بني الأخوه، ويقولون : إن

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٨٧؛ الفرق بين الفرق، ١/ ٦٦-٦٩؛ الفصل في الملل والنحل ، ٤/ ١٤٤.

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٩١؛ الفرق بين الفرق، ١/ ٦٦-٦٩؛ الفصل في الملل والنحل ، ٤/ ١٤٥.

الله حرّم نكاح البنات والأخوات، وبنات الأخ وبنات الأخت، وأحل ما وراء ذلك[1].

وقال الاسفرايني: "ومن جملة الجعاردة فرقة يقال لهم الميمونية، ولا يعدون في فرق المسلمين"[2]، وأكد البغدادي خروج هذه الفرقة عن الاسلام إذ قال: "الميمونية من الجعاردة، ومن غلاة الكفر الخارجين عن فرقة الأمة"[3].

رابعاً: الحفصية:

نسبة إلى حفص بن أبي مقدام، ومن آرائهم الغالية زعموا أن ليس بين الكفر والإيمان إلا المعرفة بالله فمن عرفه فهو مؤمن، وإن كان كافراً بالرسول وبالجنة والنار، واستحل جميع المحرمات كالقتل والزنا واللواط والسرقة لكنه برئ من الشرك، وحاولت هذه الفرقة تأويل آيات القرآن الكريم وفقاً لهواها من اجل الانتقاص من الأئمة، وخاصة الإمام علي رضي الله عنه حيث قالوا: أن الله أنزل في حق علي قوله[4]:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾[5].

وذكر ابن حزم أنهم ذهبوا إلى أن كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاج فهي شرك بالله، وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار[6].

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين، ١/ ٩٥؛ والفرق بين الفرق، ١/ ١١.

(٢) التبصير في الدين وتميز الفرق الناجية من الفرق الهالكين، ص: ١٥.

(٣) الفرق بين الفرق، ١/ ١٨.

(٤) مقالات الإسلاميين، ١/ ١٠٢؛ والفرق بين الفرق ، ١/ ٨٣؛ والفصل في الملل والنحل ، ٤/ ١٣٥-١٣٦.

(٥) سورة البقرة، الاية (٢٠٤).

(٦) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ٤/ ١٤٦.

المبحث الثالث
الاثار الجانبية الفكرية للخوارج والدروس والعبر المستفادة من فكرهم

المطلب الأول: الآثار الجانبية الفكرية للخوارج.

لفكر الخوارج أثر جانبي كبير على المجتمع الإسلامي منذ نشوئها وحتى عصرنا الحالي مما تأثر بالتراث، والارث التاريخي الذي ورثته تلك الفرقة لكون سبب نشوئها الأحداث النابعة من واقع المجتمع الإسلامي الذي انهكته الحروب والفتن، والمسلمون يعيشون داخل توراث من المحن والفتن من مشاكل سياسية واجتماعية وفساد أخلاقي وإداري، وقلة دور العلماء في الدعوة للخوف من تعرضهم للفتن والأذى، وسيطرة العالم الخارجي وخاصة الغربي على العالم الإسلامي، والذي كان لليد الخارجية الفضل الكبير في دعم الحركات الضالة ذات الفكر المتشدد سواء كان متشددا في فرض الدين أو بالعكس إلغاؤه لهدف الإباحية وإلغاء الفروض الدينية، وبما أننا نتحدث فقط عن المغالاة في الدين وهو التشدد في الأحكام الشرعية وما يسمى بالتطرف الديني الذي ساد مجتمعنا الإسلامي كرد فعل للأحداث التي مرت به منذ القدم وحتى عصرنا الحالي، فالمتأمل بفكر الخوارج يجد أن هناك فرقاً معاصرة تشابهت وتوافقت مع أفكار الخوارج في التشدد والتعصب بالرأي[1]، وتكفير كل من يخالف رأيهم، وهذه الفرق أو الحركات منها ما ظهر بدافع سياسي وديني أو جماعي أو نفسي.

(١) ينظر: الوسطية في العقيدة الإسلامية، ص: ١٢٣.

وهذه الفرق المحدثة والمعاصرة انقسمت الى فرقتين على حساب التعدد والتعصب المذهبي للمسلمين من متشددي الشيعة والسنة وهاتان الفرقتان هما:

الفرقة الاولى: وهي الفرقة التكفيرية من متشددي الشيعة والتي لها جذور قديمة امتدت حتى عصرنا الحاضر، ولكنها ظهرت بشكل جلي وواضح ومشاهد للعيان، وتذهب هذه الفرقة إلى تكفير أصحاب النبي محمد ﷺ، فقد جاء في (الكافي للكليني) وهو من الكتب والمراجع المعتمدة عند متشددي الشيعة الى أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴾[1]، أُنزل في حق سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان، حيث جاء بقوله في تفسير الآية في (الكافي) فآمنوا بالنبي أولا، ثم كفروا، حين عرضت عليهم ولاية علي ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي، ثم كفروا بعد موت النبي، ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة[2].

والفرقة الثانية: وهي فرقة محدثة لها جذور من حيث مشابهتها للخوارج، ولكن ليس تشابه في الأصل والمذهب كالفرقة الأولى، فهي حديثة في اسمها وتشددها المذهبي على حساب أهل السنة والجماعة، فأفراد هذه الفرقة ينتسبون حسب دعواهم إلى السلف الصالح فهم يكفرون كل من خالفهم ويضعون الأدلة في غير موضعها، فمثلا إنكارهم لجاه النبي ﷺ والوسيلة فعندهم كل من رفع كفيه يدعو ربه متضرعاً، قائلاً: "اللهم أسالك بنبيك محمدٍ أو بجاه نبيك محمد أن تقضي لي حاجتي"، فإنه مشرك لا محالة لأنه اتخذ من دون الله نداً برأيهم[3]، وقيامهم بالتضعيف والتشكيك ببعض الأحاديث الصحيحة الدالة على ما

(١) سورة النساء الآية (١٣٧)

(٢) ينظر: معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي،، ١٣٩-١٤٠.

(٣) ينظر: معالم الطريق في عمل الروح الاسلامي، ١٥٠.

يخالف ما يذهبون إليه، فلا يفرقون بما هو أصل في الدين وما لا ليس له أصل[1].

المطلب الثاني: الدروس والعبر المستفادة من فكر الخوارج.

يمكن أن نستنتج بعض الدروس من سبب تشدد الخوارج وكل من حذا حذوهم من الفرق ذات الفكر الضال المتطرف هو فهمهم السقيم لنصوص الشرع، ويعود ذلك الى سببين وهما:

أولا: فهم النصوص ببادئ الرأي، وسطحية ساذجة دون التأمل والتثبت من مقصد الشارع من النصوص، فوقعوا في تحريف النصوص، وتأويل معناها الصحيح.

ثانياً: أخذهم ببعض الأدلة دون البعض، فيأخذون بالنص الواحد، ويحكمون على أساس فهمهم له دون أن يتعرفوا على باقي النصوص الشرعية في المسألة نفسها، فضربوا بعض النصوص ببعض.

وعليه فإن الدرس الذي نستفيد منه في ضوء دراسة سيرة الخوارج وآرائهم هو أن تقييم الرجال ليس الأخذ فقط بظاهرهم كما في الخوارج حيث تميزوا بكثرة العبادة والاجتهاد، ومع كل هذا فقط أتوا ببدعة خطيرة، وزعوا بذور الخلاف بين المسلمين، فليس من مسلم سليم العقيدة إلا ويذكرهم في معرض الذم، ولم يذكرهم العلماء في مصنفاتهم إلا للتحذير من بدعتهم، وبيان فساد معتقداتهم دون فخر واعتزاز بعبادتهم، فالمنهج الإسلامي الواضح لدينا أنه يجب تقييم الرجال من منطق معتقداتهم وتصوراتهم ، وجميع السمات الآخرى التي أقرها الشرع أولاً، في الحكم عليهم، أي أهم شيء في الحكم على الشخص هو أن يكون اعتقاده سليماً ثم يليه عمله الصالح وهو الذي يميز المسلم الحق عن المسلم المزيف المتقنع بقناع الدين[2].

(١) ينظر: التطرف الديني، ٤٦-٤٨.

(٢) ينظر: الارهاب في ميزان الشريعة، ١٠٣-١٠٦.

الخاتمة

بعد أن وصلت الى نهاية بحثي هذا توصلت الى نتائج ختامية ختمت بها بحثي، وسأذكرها فيما يأتي:

التطرف: عبارة تطلق على كل فعل متنطع متكلف فيه، وزائد على ما جاءت به الشريعة زيادة فوق الوسع، وهو كل غلو في الدين يؤدي الى التشدد المنهي عنه في الشريعة الإسلامية.

لقد نهت الشريعة الإسلامية عن التطرف، وذمته ذماً شديداً، وذلك من عبر الشرعية من الكتاب والسنة، وآثار السلف كلها تذم وتنهي عن التشدد والمغالاة في الدين.

لابد للتطرف من أسباب دفعت إلى نشوئه، وهذه الأسباب منها علمية واجتماعية وتربوية ونفسية وسياسية واقتصادية.

الخوارج: هم فرقة أو حزب سياسي ديني، كان سبب نشوئه قبول الإمام علي رضي الله عنه التحكيم مع معاويةرضي الله عنه في وقعة صفين عام ٣٧هـ، وكانوا هم من أتباع الخليفة علي بن أبي طالبرضي الله عنه إلا أنهم خرجوا عنه وانشقوا عن جيشه بعد المعركة لرفضهم واعتراضهم عليه لقبوله التحكيم.

للخوارج آراء ومعتقدات جعلتهم من الفرق الضالة، لما تميزوا بمنهج التكفير فقد كفّروا علياً وعثمان وعائشة وكذلك أمروا بقتل كل من خالف رأيهم، وقتل نسائهم وأطفالهم، فكانوا أشد الناس في التعامل، والاعتقاد تميزوا بغلوهم حتى في العبادة فكانوا أكثر الناس عبادة واجتهاد إلا أنهم أتوا بأخطاء وبدع وفتن، دمرت المجتمع الإسلامي وشقت وحدته.

انقسمت الخوارج على عدة فرق، تميزت كل فرقة عن الأخرى بالغلو والتشدد، وكانت معتقداتهم هجينة مستمدة من فرق أخرى كالمعتزلة والقدرية، فهي عبارة عن خليط من الأفكار وكان سمتها البارزة هو التكفير وقتل كل من خالف آراءهم.

للخوارج آثار جانبية على كيان المجتمع الإسلامي قديما تمثل بنشر الفتن من قتل وسفك لدماء الأبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم خالفوهم في بعض آرائهم، وعدم طاعتهم على الغلو، وحديثاً تميز بظهور فرق معاصرة تأثرت بأفكار الخوارج التكفيرية وهي فرق ونحل تكفيرية يكفر بعضها البعض.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

١. الإرهاب في ميزان الشريعة الإسلامية، د. عادل عبد الجبار، موقع مكتبة صيد الفوائد، الانترنت.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محيي الدين الزبيدي. دار الفكر.

٣. تاريخ الأمم الإسلامية، للشيخ محمد الخضري بك، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤. التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين، لطاهر بن محمد الاسفراييني، ت(٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م.

٥. التطرف الديني، تأليف: د. سعدون الساموك ود. قحطان عبد الرحمن الدوري ود. رشدي محمد عليان، مجلة الرسالة الاسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، جمهورية العراق، ١٩٨٦م.

٦. التعاريف للإمام محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداني، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.

٧. التفسير الكبير، للإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت.

٨. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله عبد الوهاب، ت (١٢٣٣هـ)، مكتبة الرياض الحديثة الرياض.

٩. الجامع الصحيح المختصر، للإمام محمد بن اسماعيل البخاري، ت (٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٠. الجامع الصحيح، (سنن الترمذي) للإمام محمد بن عيسى الترمذي ، ت (٢٧٩هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي.
١١. الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ت (٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢. دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، د. عرفان عبد الحميد، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م.
١٣. سبل السلام شرح بلوغ المرام، للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط٢، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٩٥٠.
١٤. شرح العقيدة الأصفهانية، لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: إبراهيم سعيداوي، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥هـ.
١٥. شرح النووي على صحيح مسلم، للإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: ٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
١٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن حجر العسقلاني، (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة ، ١٣٨٠هـ.
١٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي، (ت: ٤٢٩هـ)، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧هـ.
١٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد علي بن حزم الظاهري ، (ت: ٥٤٨هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٩. فيض القدير، للشيخ عبد الرؤوف المناوي، ط١، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ.
٢٠. قصيدة بن ابي داود، لأبي بكر عبد الله بن سليمان الأشعث، (ت: ٣١٦هـ)،

تحقيق: محمود محمد الحداد، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٨هـ.

٢١. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور، (ت: ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت.

٢٢. المسند، للإمام احمد بن حنبل الشيباني، ت (٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٣. معالم الطريق في عمل الروح الإسلامي، د. عبدالله مصطفى، ط١، دائرة المطبوعات، والنشر، بغداد، ١٩٩٣م.

٢٤. معجم البلدان ، لياقوت الحموي، دار الفكر- بيروت.

٢٥. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، (ت: ٣٢٤هـ) تحقيق: هلموت رتير، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٦. الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم بن ابي بكر الشهرستاني، (ت: ٥٤٨هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٧. الوسطية في العقيدة الاسلامية أطروحة دكتوراه، مقدمة الى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، من قبل الباحث ثائر ابراهيم الشمري، اشراف: د. محمد رمضان عبد الله ، ٢٠٠١م.